الدِّفَاعُ عَنِ السَّلَفِ(١)

(١) "السَّلَف" هُمْ سَلَفُنَا الصَّالِحُ: صَدْرُ هَذِهِ الأُمَّةِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ أَئِمَّةِ الهُدَى -كَالأَئِمَّةِ الأَرْبَعَةِ- فى القُرُونِ الثَّلاَثَةِ الأُولَى؛ المُفَضَّلَةِ فِي قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ». (رَوَاهُ البُخَارِيُّ).

وَهُمُ المَعْنِيُّونَ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (التَّوْبَة/ ١٠٠).

وَهُمْ؛ كَمَا قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ قُدَامَةَ المَقْدِسِيُّ فِي كِتَابِهِ: "تَحْرِيمِ النَّظَرِ فِي كُتُبِ الكَلاَمِ":

"المُتَّفَقُ عَلَى صَوَابِهِمْ، المُجْمَعُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، الَّذِينَ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالى بِرِضَاهُ عَنْهُمْ وَاخْتِيَارِهِ لَهُمْ، وَمَدَحَهُمْ وَأَثْنَى عَلَيْهِمْ، وَحَسْبُكَ بِمَنْ مَدَحَهُ اللهُ تَعَالى وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَخَبَّرَ، مَنْ وَصَّى بِهِمُ النَّبِيُّ وَحَثَّ النَّاسَ عَلَى اتِّبَاعِهِمْ وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ".

فَـ"السَّلَفِيَّةُ" عَقِيدَةٌ قَدِيمَةٌ مَأْخُوذَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالى عَلَى فَهْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ.

فَـ"السَّلَفِيَّةُ" أَوِ "السَّلَفِيُّونَ" هُمُ: الفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ، وَالطَّائِفَةُ المَنْصُورَةُ الَّتِي تُدَافِعُ عَنِ الحَقِّ وَتُقَاتِلُ دُونَ الحَقِّ، وَتَسْتَمِيتُ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الحَقِّ.

۞۞۞

وَلاَبُدَّ أَنْ يَتَحَقَّقَ فِى مُصْطَلَحِ "السَّلَفِ" عَامِلاَنِ:

الأَوَّلُ: العَامِلُ الزَّمَنِيُّ؛ وَهُوَ إِدْرَاكُ الفَتْرَةِ الزَّمَنِيَّةِ الَّتِى حَدَّدَهَا الرَّسُولُ صلى الله عليه وسلم فِي الحَدِيثِ السَّابِقِ.

الثَّانِي: العَامِلُ (المَنْهَجِيُّ)؛ وَيَتَمَثَّلُ فِى طَرِيقَتِهِمُ الَّتِى فَهِمُوا بِهَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَأَنَّهُ لاَ تَعَارُضَ بَيْنَ العَقْلِ وَالنَّقْلِ وَلِذَا لَمْ يُقَدِّمُوا العَقْلَ عَلَى النَّقْلِ.

وَلاَ يَتَّبِعُونَ طَرِيقَةَ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالضَّلاَلِ؛ الَّذِينَ قَالَ اللهُ فِيهِمْ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ (آل عِمْرَان).

فَيَأْخُذُ أَهْلُ الزَّيْغِ وَالضَّلاَلِ الأَدِلَّةَ المُتَشَابِهَةَ وَيَتْرُكُونَ الأَدِلَّةَ المُحْكَمَةَ الَّتِي تُفَسِّرُهَا وَتُبَيِّنُهَا، فَلاَبُدَّ مِنْ رَدِّ المُتَشَابِهِ إِلى المُحْكَمِ. =

۞۞۞

إِنَّهُ لاَبُدَّ لِمَنْ يَتَحَدَّثُ عَنِ (السَّلَفِ) أَنْ يُقَدِّرُ لَـهُمْ قَدْرَهُمْ!

فَإِنَّ مَنْهَجَهُمْ أَعْدَلُ مَنْهَجٍ، وَطَرِيقَهُمْ أَقْوَمُ طَرِيقٍ، وَفُهُومَهُمْ خَيْرُ الفُهُومِ.

كَانَ هَمُّهُمُ العِلْمَ وَالعَمَلَ، وَأَنْ يَحْذُو مَنْ بَعْدَهُمْ حَذْوَهُمْ وَيَسِيرُوا فِي ذَلِكَ عَلَى دَرْبِهِمْ، يَحْمِلُونَ أَمَانَةَ العِلْمِ وَيُؤَدُّونَهَا مَوْفُورَةً مُبَارَكَةً، لاَ مُجَرَّدَ التَّقْعِيدِ وَالتَّأْصِيلِ وَالتَّنْظِيرِ فَحَسْب، مِنْ غَيْرِ طَنْطَنَةٍ وَلاَ شَقْشَقَةٍ، فَلاَ تَعَالُمَ وَلاَ ثَرْثَرَةَ، وَمَضْغَ الكَلاَمِ فِي الأَشْدَاقِ وَتَسْوِيدِ الأَوْرَاقِ.

وَكَانَ الوَاحِدُ مِنْهُمْ صَاحِبَ هِمَّةٍ عَالِيَةٍ وَعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ؛ كَالجَبَلِ الرَّاسِخِ وَالطَّوْدِ الشَّامِخِ.

= وَلَكِنْ؛ هَل يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ سَلَفٌ فِى وَقْتِنَا هَذَا أَمْ مَاذَا؟

كُلُّ مَنِ اقْتَدَى بِالسَّلَفِ وَسَارَ عَلَى نَهْجِهِمْ وَدَرْبِهِمْ عَلَى مَدَى العُصُورِ وَالأَزْمَانِ يُسَمَّى "سَلَفِيٌّ" نِسْبَةً إِلَيْهِمْ، وَهَذِهِ سَلَفِيَّةُ عَقِيدَةٍ وَمَنْهَجٍ؛ لأَنَّ السَّلَفَ سَبَقُوا زَمَانَنَا. فَكُلُّ مَنْ قَالَ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِفَهْمِ سَلَفِ الأُمَّةِ، وَسَارَ عَلَى نَهْجِ وَمَنْهَجِ السَّلَفِ؛ يَصِيرُ سَلَفِيًّا، أَيْ: سَلَفِيُّ المَنْهَجِ وَالعَقِيدَةِ، فَالسَّلَفِيَّةُ لَيْسَتْ جَمَاعَةً أَوْ حِزْبًا؛ إِنَّمَا هِيَ مَنْهَجٌ يُتَّبَعُ.

إِنَّهُمْ بُدُورُ العُلُومِ وَاللَّوَائِح، وَمُلُوكُ أَزِمَّتِهَا وَأَعِنَّتِهَا وَشُيُوخُ المَعَارِف. تُسْتَخْرَجُ جَوَاهِرُ العُلُومِ مِنْ بِحَارِهِمْ، وَتَتَفَجَّرُ العُلُومُ مِنْ جَوَانِبِهِمْ، وَتَنْطِقُ الحِكْمَةُ مِنْ نَوَاحِيهِمْ. لَمْ يَتْرُكُوا مَعْنًى مُغْلَقًا إِلاَّ فَتَحُوا صَيَاصِيه، وَلاَ مُشْكَلاً إِلاَّ أَوْضَحُوا مَبَانِيه.

أَوْجَزُوا فَأَعْجَزُوا، وَأَذْكَوا سِرَاجَ الأَفْكَار، وَأَضَاؤُوا ظَلاَمَ الأُمُور، وَأَبَانُوا حَقَائِقَ العُلُومِ.

وَأَنْفَقُوا رَحِمَهُمُ اللهُ فِي ذَلِكَ نَفَائِسَ الأَعْمَارِ حَتَّى وَصَلُوا أَسْفَارَ الفَوَائِدِ وَفَوَائِدَ الأَسْفَارِ، فَكَشَفُوا عَنِ الأُمَّةِ كُلَّ غُمَّةٍ، وَجَلُوا غَيَاهِبَ كُلِّ ظُلْمَةٍ، فَشَكَرَ اللهُ سَعْيَهُمْ وَعَمَّهُمْ بِوَاسِعِ مَغْفِرَتِهِ، إِنَّهُ هُوَ الرَّحِيمُ الغَفَّارُ.(١)

وَالصَّحَابَةُ رضي الله عنهم (وَمِنْ بَعْدِهِمُ السَّلَفُ رَحِمَهُمُ اللهُ قَدْ نَهَجُوا نَهْجَهُمْ، وَاتَّبَعُوا طَرِيقَتَهُمْ، وَأَفَادُوا مِنْ غَزَارَةِ عِلْمِهِمْ، وَارْتَوُوا مِنْ فَيْضِ فِقْهِهِمْ) قَدْ فَهِمُوا القُرْآنَ، وَتَدَبَّرُوا آيَاتِهِ وَعَاشُوا مَعَهُ، وَعَايَشُوهُ آيَةً آيَةً، وَأَتْقَنُوا العِلْمَ وَالعَمَلَ جَمِيعًا، فَهُمْ لِذَلِكَ أَفْقَهُ

(١) انظر: "قُرَّة العُيُون" لابْنِ الدَّيْبَعِ (ص١) بِتَصَرُّفٍ.

الفُقَهَاءِ، وَأَعْلَمُ العُلَمَاءِ، فَهُمْ مَصَادِرُ عِلْمِ الدِّينِ وَفِقْهُهُ دُونَ مُنَازِعٍ.

وَقَالَ **الجَاحِظُ**:(١)

"إِنَّهُ لَمْ يَخْلُ زَمَانٌ فِيمَا مَضَىٰ مِنَ القُرُونِ الذَّاهِبَةِ إِلاَّ وَفِيهِ عُلَمَاءُ مُحَقِّقُونَ قَدْ طَالَعُوا كُتُبَ مَنْ تَقَدَّمَهُمْ؛ فَمَخَضُوا الحِكْمَةَ وَعَجَمُوا عِيدَانَهَا".

❁❁❁❁

فَـ(**السَّلَفُ**) رَحِمَهُمُ اللهُ هُمْ سَادَاتُ هَذِهِ الأُمَّةِ عِلْمًا وَعَمَلاً، وَالدِّينُ هُوَ مَا جَاءَ عَنْهُمْ، وَمَا لَمْ يَعْلَمُوهُ مِنْ هَذَا الدِّينِ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ؛ بَلْ هُوَ بِدْعَةٌ وَضَلاَلٌ. **وَإِذَا انْفَرَدَ أَحَدُ المُتَأَخِّرِينَ بِقَولٍ وَلَمْ يَسْبِقْهُ إليه أحدٌ مِنَ السَّلَفِ الصَالِحِ؛ فَلاَ بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَطَأً.**

وَقَالَ الإِمَامُ **الشَّاطِبِيُّ**:(٢)

"فَالحَذَرَ الحَذَرَ مِنْ مُخَالَفَةِ الأَوَّلِينَ. فَلَوْ كَانَ ثَمَّ فَضْلٌ مَا، لَكَانَ الأَوَّلُونَ أَحَقُّ بِهِ. وَاللهُ المُسْتَعَانُ."أ.هـ.

---

(١) **"رَسَائِل الجَاحِظ" (١/ ٣٣٨) بِتَصَرُّفٍ.**

(٢) **فِي "المُوَافَقَات" (٣/ ٥٦).**

إِنَّ الفِرَقَ وَالمَذَاهِبَ الكَلاَمِيَّة تَرْتَبِطُ بِشَخْصٍ مُعَيَّنٍ يَنْتَسِبُونَ إِلَيْهِ؛ كَمَا تَنْتَسِبُ المُعْتَزِلَةُ إِلَىٰ وَاصِلِ بْنِ عَطَاءٍ، وَالأَشَاعِرَةِ إِلَىٰ أَبِي الحَسَنِ الأَشْعَرِيِّ .....الخ.

أَمَّا (السَّلَفِيُّونَ)؛ فَيَنْتَسِبُونَ إِلَىٰ مَا كَانَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ وَصَحَابَتُهُ وَأَهْلُ القُرُونِ الثَّلاَثَةِ الخَيِّرَةِ وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ دَرْبِهِمْ مِنَ الأَئِمَّةِ الأَعْلاَمِ جِيلاً بَعْدَ جِيلٍ؛ يَأْخُذُ لاَحِقُهُمْ مِنْ سَابِقِهِمْ، فَهُمْ يُعَبِّرُونَ عَنْ مَنْهَجٍ يَقِينِيٍّ مُتَوَاتِرٍ لَهُ أُصُولُهُ وَقَوَاعِدُهُ مُوَافِقٍ مُوَافَقَةٍ تَامَّةٍ لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نَصًّا وَرُوحًا، وَمُؤَسَّسٍ عَلَىٰ اليَقِينِ وَالبُرْهَانِ، أُسْوَتُهُمْ وَقُدْوَتُهُمْ وَمَتْبُوعُهُمْ فِيهِ هُوَ رَسُولُ الله ﷺ، لاَ يُقَدِّمُونَ رَأْيًا وَلاَ هَوًىٰ بَيْنَ يَدَيِ الله وَرَسُولِهِ، وَلاَ يَبْحَثُونَ إِلاَّ عَنِ الحَقِّ وَلاَ يَقْصِدُونَ إِلاَّ وَجْهَ الله .... يُحَرِّرُونَ الأَدِلَةَ وَيَعْرِفُونَ جِهَةَ الدَّلاَلَةِ حَتَّىٰ يُنْزِلُوا كُلَّ دَلِيلٍ عَلَىٰ مَعْنَاهُ الصَّحِيحِ عَلَىٰ مُرَادِ الله وَرَسُولِهِ وَعَلَىٰ مَا مَضَىٰ عَلَيْهِ سَلَفُ الأُمَّةِ، مَعَ التَّعْبِيرِ عَنْ ذَلِكَ بِالعِبَارَةِ وَالحُجَّةِ الشَّرْعِيَّةِ لَفْظًا وَمَعْنًىٰ مَعًا؛ وَالَّتِي لاَ لَبْسَ فِيهَا وَلاَ غُمُوض، فَيُثْبِتُونَ مَا أَثْبَتَهُ الدَّلِيلُ وَيَنْفُونَ مَا نَفَاهُ الدَّلِيلُ، فَهُمْ يَدُورُونَ مَعَ الدَّلِيلِ نَفْيًا أَوْ إِثْبَاتًا.

عَكْسُ مَنْ هُوَ مُتَّبِعٌ هَوَاهُ مُنْتَصِرٌ لِرَأْيِهِ؛ فَيَرُدُّ أَوْ يُأَوِّلُ الأَدِلَةَ مَعَ اسْتِعْمَالِ الأَلْفَاظِ الْمُجْمَلَةِ وَالمَعَانِي الْمُبْهَمَةِ، فَغَايَتُهُ وَقَصْدُهُ رَدُّ الْمُنَازِعِ وَالْمُخَالِفِ.

❁❁❁❁

وَلَكِنْ لَابُدَّ مِنْ إِظْهَارِ جُهُودِ سَلَفِنَا وَسَابِقِينَا مِنْ عُلَمَاءِ الأُمَّةِ -الَّذِينَ نُجِلُّهُمْ دُونَ غُلُوٍّ وَلاَ قَدَاسَةٍ وَدُونَ أَنْ نَدَّعِيَ فِيهِمْ العِصْمَةَ؛ بَلِ اعْتِرَافًا بِفَضْلِهِمْ وَتَقَدُّمِهِمْ؛ وَرَبْطِهِ بِجُهُودِ أَسَاتِذَتِنَا وَإِخْوَانِنَا مِنْ الْمُحْدَثِينَ، فَهُوَ وَصْلُ المَاضِي بِالحَاضِرِ، فَهِيَ حَرَكَةٌ دَائِبَةٌ مُتَوَاصِلَةٌ.

❁❁❁❁

فَيَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نَتَوَاضَعَ لِعِلْمِ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَأَنْ نُقِرَّ لَـهُمْ بِالسَّبْقِ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الدِّينِ.

كَانَ الإِمَامُ **أَبُو عَمْرٍو بْنُ العَلاَءِ** التَّابِعِيُّ الجَلِيلُ أَحَدُ الأَئِمَّةِ القُرَّاءِ السَّبْعَةِ رحمه الله يَقُولُ: (١) **"مَا نَحْنُ فِيمَنْ مَضَى إِلاَّ كَبَقْلٍ فِي أُصُولِ نَخْلٍ طُوالٍ"**.

---

(١) قَدْ سَبَقَ.

وَيَقُولُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ:(١)

"وَكُلُّ قَوْلٍ يَنْفَرِدُ بِهِ الْمُتَأَخِّرُ عَنْ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَلَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ؛ فَإِنَّهُ يَكُونُ خَطَأً؛ كَمَا قَالَ الإِمَامُ **أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: إِيَّاكَ أَنْ تَتَكَلَّمَ فِي مَسْأَلَةٍ لَيْسَ لَكَ فِيهَا إِمَام."**أ.هـ.

❖❖❖❖

قَالَ **ابْنُ الْقَيِّمِ**:(٢)

"ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم فِي "الصَّحِيحِ" مِنْ وُجُوهٍ مُتَعَدِّدَةٍ أَنَّهُ قَالَ: «**خَيْرُ الْقُرُونِ الْقَرْنُ الَّذِي بُعِثْتُ فِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ قَرْنُهُ مُطْلَقًا، وَذَلِكَ يَقْتَضِي تَقْدِيمُهُمْ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ، وَإِلاَّ لَوْ كَانُوا خَيْرًا مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ؛ فَلاَ يَكُونُونَ خَيْرَ الْقُرُونِ مُطْلَقًا، فَلَوْ جَازَ أَنْ يُخْطِئَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حُكْمًا وَسَائِرُهُمْ لَمْ يُفْتُوا بِالصَّوَابِ، وَإِنَّمَا ظَفَرَ بِالصَّوَابِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَأَخْطَئُوا هُمْ؛ لَزِمَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَرْنُ

---

(١) في "مَجْمُوع الفَتَاوَى" (٢١/ ٢٩١).

(٢) في "إِعْلاَم الْمُوَقِّعِينَ" (٤/ ٧٧ – ٧٨).

خيرًا مِنْهُمْ مِنْ ذَلِكَ الوَجْهِ؛ لأَنَّ القَرْنَ المُشْتَمِلَ عَلَى الصَّوَابِ خَيْرٌ مِنَ القَرْنِ المُشْتَمِلِ عَلَى الخَطَأِ فِي ذَلِكَ الفَنِّ. . .

وَمَعْلُومٌ أَنَّ فَضِيلَةَ العِلْمِ وَمَعْرِفَةِ الصَّوَابِ أَكْمَلُ الفَضَائِلِ وأَشْرَفُهَا، فَيَا سُبْحَانَ الله! أَيُّ وَصْمَةٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ الصِّدِّيقُ أَوِ الفَارُوقُ أَوْ عُثْمَانُ أَوْ عَلِيٌّ أَوِ ابْنُ مَسْعُودٍ أَوْ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ أَوْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ وَأَضْرَابُهُمْ ﷺ قَدْ أَخْبَرَ عَنْ حُكْمِ الله أَنَّهُ كَيْتُ وَكَيْتُ فِي مَسَائِلَ كَثِيرَةٍ وَأَخْطَأَ فِي ذَلِكَ، وَلَمْ يَشْتَمِلْ قَرْنُهُمْ عَلَى نَاطِقٍ بِالصَّوَابِ فِي تِلْكَ المَسَائِلِ حَتَّى نَبَغَ مَنْ بَعْدَهُمْ فَعَرَفُوا حُكْمَ الله الَّذِي جَهِلَهُ أُولَئِكَ السَّادَةُ، وَأَصَابُوا الحَقَّ الَّذِي أَخْطَأَهُ أُولَئِكَ الأَئِمَّةُ ؟!

سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ". أ.هـ.

❁❁❁❁

وَقَدْ رَدَّ **ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ** عَلَى أَمْثَالِ مَنْ ظَنَّ فِي شَخْصٍ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ؛ فَقَالَ رَحِمَهُ اللهُ:(١)

---

(١) فِي كِتَابِهِ "فَضْل عِلْمِ السَّلَف عَلَى الخَلَف" (ضِمْنَ مَجْمُوع رَسَائِلِ ابْنِ رَجَبٍ: ٣/ ٢٢ – ٢٤).

"وَقَدِ **ابْتُلِينَا بِجَهَلَةٍ مِنَ النَّاسِ** يَعْتَقِدُونَ فِي بَعْضِ مَنْ تَوَسَّعَ فِي القَوْلِ مِنَ المُتَأَخِّرِينَ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِمَّنْ تَقَدَّمَ.

فَمِنْهُمْ مَنْ يَظُنُّ فِي شَخْصٍ أَنَّهُ أَعْلَمُ مِنْ كُلِّ مَنْ تَقَدَّمَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ؛ لِكَثْرَةِ بَيَانِهِ وَمَقَالِهِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ: هُوَ أَعْلَمُ مِنَ الفُقَهَاءِ المَشْهُورِينَ المَتْبُوعِينَ، وَهَذَا يَلْزَمُ مِنْهُ مَا قَبْلَهُ؛ لأَنَّ هَؤُلاَءِ الفُقَهَاءَ المَشْهُورِينَ المَتْبُوعِينَ أَكْثَرُ قَوْلاً مِمَّنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، فَإِذَا كَانَ مَنْ بَعْدَهُمْ أَعْلَمُ لاتِّسَاعِ قَوْلِهِ، كَانَ أَعْلَمَ مِمَّنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْهُمْ قَوْلاً بِطَرِيقٍ أَوْلَى كَالثَّوْرِيِّ وَالأَوْزَاعِيِّ وَاللَّيْثِ وَابْنِ المُبَارَكِ وَطَبَقَتِهِمْ، وَمِمَّنْ قَبْلَهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ وَالصَّحَابَةِ أَيْضًا؛ فَإِنَّ هَؤُلاَءِ كُلَّهُمْ أَقَلُّ كَلاَمًا مِمَّنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

وَهَذَا تَنَقُّصٌ عَظِيمٌ بِالسَّلَفِ الصَّالِحِ، وَإِسَاءَةُ ظَنٍّ بِهِمْ، وَنِسْبَةٌ لَهُمْ إِلَى الجَهْلِ وَقُصُورِ العِلْمِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ.

وَلَقَدْ صَدَقَ **ابْنُ مَسْعُودٍ** فِي قَوْلِهِ فِي الصَّحَابَةِ: "**إِنَّهُمْ أَبَرُّ الأُمَّةِ قُلُوبًا، وَأَعْمَقُهَا عُلُومًا، وَأَقَلُّهَا تَكَلُّفًا**". وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَيْضًا.

وَفيهِ إِشَارَةٌ إِلىٰ أَنَّ مَنْ بَعْدَهُمْ أَقَلُّ عُلُومًا وَأَكْثَرُ تَكَلُّفًا.

وَقَالَ **ابْنُ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه أَيضًا: "إِنَّكُمْ في زَمَانٍ كَثِيرٌ عُلَمَاؤُهُ، قَلِيلٌ خُطَبَاؤُهُ، وَسَيَأْتِي بَعْدَكُمْ زَمَانٌ قَلِيلٌ عُلَمَاؤُهُ، كَثِيرٌ خُطَبَاؤُهُ".

فَمَنْ كَثُرَ عِلْمُهُ وَقَلَّ قَوْلُهُ فَهُوَ المَمْدُوحُ، وَمَنْ كَانَ بِالعَكْسِ فَهُوَ مَذْمُومٌ."أ.هـ.

❁❁❁❁

فَأَفْضَلُ العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ مَا كَانَ مَأْثُورًا عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ إِلىٰ زَمَنِ أَئِمَّةِ الإِسْلاَمِ المَشْهُورِينَ المُقْتَدَىٰ بِهِمْ، وَمَا حَدَثَ بَعْدَهُمْ مِنْ التَّوَسُّعِ لاَ خَيْرَ في كَثِيرٍ مِنْهُ؛ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ شَرْحًا لِكَلاَمِ يَتَعَلَّقُ مِنْ كَلاَمِهِمْ.

وَأَمَّا مَا كَانَ مُخَالِفًا لِكَلاَمِهِمْ؛ فَأَكْثَرُهُ بَاطِلٌ أَوْ لاَ مَنْفَعَةَ فِيهِ، وَفي كَلاَمِهِمْ في ذَلِكَ كِفَايَةٌ وَزِيَادَةٌ، فَلاَ يُوجَدُ في كَلاَمِ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ حَقٍّ إِلاَّ وَهُوَ في كَلاَمِهِمْ مَوْجُودٌ بِأَوْجَزِ لَفْظٍ وَأَخْصَرِ عِبَارَةٍ، وَلاَ يُوجَدُ في كَلاَمِ مَنْ بَعْدَهُمْ مِنْ بَاطِلٍ إِلاَّ وَفي كَلاَمِهِمْ مَا يُبَيِّنُ بُطْلاَنَهُ لِمَنْ فَهِمَهُ وَتَأَمَّلَهُ، وَيُوجَدُ في كَلاَمِهِمْ مِنْ المَعَانِي البَدِيعَةِ وَالمَآخِذِ الدَّقِيقَةِ مَا لاَ يَهْتَدِي إِلَيْهِ مَنْ بَعْدَهُمْ وَلاَ يُلِمُّ بِهِ.

فَمَنْ لَمْ يَأْخُذِ العِلْمَ مِنْ كَلامِهِمْ؛ فَاتَهُ مِنْ ذَلِكَ الخَيْرَ كُلَّهُ، مَعَ مَا يَقَعُ مِنَ البَاطِلِ مُتَابَعَةً لِمَنْ تَأَخَّرَ عَنْهُمْ. .."أ.هـ. بِتَصَرُّفٍ.

❁❁❁❁

وَقَالَ **ابْنُ رَجَبٍ الحَنْبَلِيُّ** أَيْضًا:(١)

"... وَأَمَّا مَنْ عِلْمُهُ غَيْرُ نَافِعٍ؛ فَلَيْسَ لَهُ شُغْلٌ سِوَى التَّكَبُّرِ بِعِلْمِهِ عَلَى النَّاسِ، وَإِظْهَارِ فَضْلِ عِلْمِهِ عَلَيْهِمْ، وَنِسْبَتِهِمْ إِلَى الجَهْلِ، وَتَنَقُّصِهِمْ لِيَرْتَفِعَ بِذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنْ أَقْبَحِ الخِصَالِ وَأَرْدَئِهَا.

وَرُبَّمَا نَسَبَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ مِنَ العُلَمَاءِ إِلَى الجَهْلِ وَالغَفْلَةِ وَالسَّهْوِ، فَيُوجِبُ لَهُ حُبَّ نَفْسِهِ، وَحُبَّ ظُهُورِهَا، وَإِحْسَانَ ظَنِّهِ بِهَا، وَإِسَاءَةَ ظَنِّهِ بِمَنْ سَلَفَ مِنَ العُلَمَاءِ.

وَأَهْلُ العِلْمِ النَّافِعِ عَلَى ضِدِّ هَذَا: يُسِيئُونَ الظَّنَّ بِأَنْفُسِهِمْ وَيُحْسِنُونَ الظَّنَّ بِمَنْ سَلَفَ مِنَ العُلَمَاءِ، وَيُقِرُّونَ بِقُلُوبِهِمْ بِفَضْلِ مَنْ سَلَفَ عَلَيْهِمْ، وَبِعَجْزِهِمْ عَنْ بُلُوغِ مَرَاتِبِهِمْ وَالوُصُولِ إِلَيْهَا وَمُقَارَبَتِهَا.

---

(١) فِي كِتَابِهِ "فَضْلِ عِلْمِ السَّلَفِ عَلَى الخَلَفِ" (٣/ ٣١ – ٣٢).

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ **أَبِي حَنِيفَةَ**! وَقَدْ سُئِلَ عَنْ عَلْقَمَةَ وَالأَسْوَدَ أَيُّهُمَا أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: "وَاللهِ! مَا نَحْنُ بِأَهْلٍ أَنْ نَذْكُرَهُمْ؛ فَكَيْفَ نُفَضِّلُ بَيْنَهُمْ؟!(١)".

وَكَانَ **ابْنُ الْمُبَارَكِ** إِذَا ذَكَرَ أَخْلاَقَ مَنْ سَلَفَ؛ يُنْشِدُ:

لاَ تُعْرِضَنَّ بِذِكْرِنَا مَعَ ذِكْرِهِمْ لَيْسَ الصَّحِيحُ إِذَا مَشَى كَالْمُقْعَدِ

وَمَنْ عِلْمُهُ غَيْرُ نَافِعٍ إذا رَأَىٰ لِنَفْسِهِ فَضْلاً عَلَىٰ مَنْ تَقَدَّمَهُ فِي المَقَالِ وَتَشَقُّقِ الكَلاَمِ، ظَنَّ لِنَفْسِهِ عَلَيْهِمْ فَضْلاً فِي العُلُومِ أَوِ الدَّرَجَةِ عِنْدَ اللهِ لِفَضْلٍ خُصَّ بِهِ عَمَّنْ سَبَقَ، فَاحْتَقَرَ مَنْ تَقَدَّمَهُ، وَأَزْرَىٰ عَلَيْهِ بِقِلَّةِ العِلْمِ، وَلاَ يَعْلَمُ المِسْكِينُ أَنَّ قِلَّةَ كَلاَمِ مَنْ سَلَفَ غنمًا كَانَ وَرَعًا وَخَشْيَةً للهِ، وَلَوْ أَرَادَ الكَلاَمَ وَإِطَالَتَهُ لَمَا عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ. ..."أ.هـ.

❁❁❁❁

وَيَقُولُ **الشَّاطِبِيُّ** فِي بَيَانِهِ لِطُرُقِ أَخْذِ العِلْمِ عَنْ أَهْلِهِ:(٢)

---

(١) فَكَيْفَ بِمَنْ يُفَضِّلُ أَحَدًا عَلَيْهِمْ؟ .. فَكَيْفَ بِمَنْ يُفَضِّلُ نَفْسَهُ عَلَيْهِمْ؟ .. فَكَيْفَ بِمَنْ يَنْتَقِصَهُمْ وَيُزْرِي عَلَيْهِمْ؟!!!

(٢) فِي كِتَابِهِ "المُوَافَقَات" (١/ ٧٤ – ٧٦).

". ... أَنْ يَتَحَرَّىٰ كُتُبَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ الْمُرَادِ؛ فَإِنَّهُمْ أَقْعَدُ بِهِ مِنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَأَصْلُ ذَلِكَ التَّجْرُبَةُ وَالخَبَرُ:

أَمَّا التَّجْرُبَةُ: فَهُوَ أَمْرٌ مُشَاهَدٌ فِي أَيِ عِلْمٍ كَانَ، فالمتأخِّرُ لاَ يَبْلَغُ مِنَ الرُّسُوخِ فِي عِلْمٍ مَا بَلَغَهُ الْمُتَقَدِّمُ. وَحَسْبُكَ فِي ذَلِكَ أَهْلُ كُلِّ عِلْمٍ عَمَلِيٍّ أَوْ نَظَرِيٍّ، فَأَعْمَالُ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي إِصْلاَحِ دُنْيَاهُمْ وَدِينِهِمْ عَلَىٰ خِلاَفِ أَعْمَالِ الْمُتَأَخِّرِينَ، وَعُلُومُهُمْ فِي التَّحْقِيقِ أَقْعَدُ، فَتَحَقُّقُ الصَّحَابَةِ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ لَيْسَ كَتَحَقُّقِ التَّابِعِينَ، وَالتَّابِعُونَ لَيْسُوا كَتَابِعِيهِمْ، وَهَكَذَا إِلَى الآنِ، وَمَنْ طَالَعَ سِيَرَهُمْ وَأَقْوَالَهُمْ وَحِكَايَاتِهِمْ أَبْصَرَ العَجَبَ فِي هَذَا الْمَعْنَىٰ.

وَأَمَّا الخَبَرُ: فَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ:(١) «**خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

وَفِي هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ كُلَّ قَرْنٍ مَعَ مَا بَعْدَهُ كَذَلِكَ. ...[ثُمَّ سَاقَ الأَدِلَّةَ؛ ثُمَّ قَالَ:] ...

---

(١) الحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتَهُ»، وَقَدْ وَرَدَ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ لَيْسَ مِنْهَا: «خَيْرُ القُرُونِ قَرْنِي».

وَالأَخْبَارُ هُنَا كَثِيرَةٌ، وَهِيَ تَدُلُّ عَلَى نَقْصِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ العِلْمُ، فَهُوَ إِذًا فِي نَقْصٍ بِلاَ شَكٍّ. فَلِذَلِكَ صَارَتْ كُتُبُ الْمُتَقَدِّمِينَ وَكَلاَمُهُمْ وَسِيَرُهُمْ أَنْفَعُ لِمَنْ أَرَادَ الأَخْذَ بِالاحْتِيَاطِ فِي العِلْمِ، عَلَى أَيِّ نَوْعٍ كَانَ، وَخُصُوصًا عِلْمِ الشَّرِيعَةِ، الَّذِي هُوَ العُرْوَةُ الوُثْقَى، وَالوَزَرُ الأَحْمَى. وَبِاللهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ."أ.هـ.

❁❁❁❁

إِنَّ هَذَا **التَّعَصُّبَ**(١) لِلآرَاءِ يَجُرَّ الإِنْسَانَ إِلَى بَلاَيَا، وَتَغْلِيبَ الأَهْوَاءِ؛ حَتَّى يَمْتَنِعَ عَنْ قَبُولِ الحَقِّ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَإِخْوَانِهِ مِنْ أَهْلِ الحَقِّ.

---

(١) جَاءَ فِي (ويكيبيديا wikipedia، الموسوعة الحرة): **"التَّعَصُّبُ: هُوَ شُعُورٌ دَاخِلِيٌّ يَجْعَلُ الإِنْسَانَ يَرَى نَفْسَهُ عَلَى حَقٍّ وَيَرَى الآخَرَ [عَلَى] بَاطِلٍ، وَيَظْهَرُ هَذَا الشُّعُورُ بِصُورَةِ مُمَارَسَاتٍ وَمَوَاقِفَ يَنْطَوِي عَلَيْهَا احْتِقَارُ الآخَرِ وَعَدَمُ الاِعْتِرَافِ بِحُقُوقِهِ وَإِنْسَانِيَّتِهِ"**.

وَيَقُولُ الدُّكْتُورُ/ سَعِيد إِسْمَاعِيل عَلِي فِي كِتَابِهِ (الفِكْر التَّرْبَوِيّ الإِسْلاَمِيّ وَتَحَدِّيَات المُسْتَقْبَل) (ص ١٧٠): **"التَّعَصُّبُ؛ هُوَ: أَنْ يَأْخُذَ الإِنْسَانُ الإِعْجَابَ بِفِكْرَةٍ مَا أَوْ بِعَالِمٍ مِنَ العُلَمَاءِ أَوْ بِمَذْهَبٍ مِنَ المَذَاهِبِ إِلَى أَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّهُ وَحْدَهُ الَّذِي يَرَى=**

وَقَدْ قَالَ **الشَّوْكَانِيُّ**:(١)

"وَاعْلَمْ أَنَّهُ كَمَا يَتَسَبَّبُ عَنِ **التَّعَصُّبِ** مَحْقُ بَرَكَةِ العِلْمِ، وَذَهَابُ رَوْنَقِهِ، وَزَوَالُ مَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الثَّوَابِ؛ كَذَلِكَ يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ مِنَ الفِتَنِ ...".

= الصَّوَابَ، وَأَنَّ رَأْيَهُ وَحْدَهُ هُوَ الجَامِعُ لِجُزْئِيَّاتِ الحَقِيقَةِ، فَيَصُدُّهُ هَذَا عَنْ أَنْ يَرَى بِعَيْنِ الإِنْصَافِ وَالنَّزَاهَةِ آرَاءَ الآخَرِينَ وَجُهُودَهُمْ".

يَقُولُ الدُّكْتُورُ/ عَادِل الدِّمْخِي فِي (التَّعَصُّب "مَظَاهِرُهُ – أَسْبَابُهُ – نَتَائِجُهُ – البُعْدُ الشَّرْعِيّ"): "فَـ(التَّعَصُّبُ) هُوَ التَّشَدُّدُ وَأَخْذُ الأَمْرِ بِشِدَّةٍ وَعُنْفٍ وَعَدَمِ قَبُولِ المُخَالِفِ وَرَفْضُهُ وَالأَنَفَةُ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَ غَيْرَهُ؛ وَلَوْ كَانَ عَلَى صَوَابٍ.

وَكَذَلِكَ (التَّعَصُّبُ) هُوَ نُصْرَةُ قَوْمِهِ أَوْ جَمَاعَتِهِ أَوْ مَنْ يُؤْمِنُ بِمَبَادِئِهِ سَوَاءٌ كَانُوا مُحِقِّينَ أَمْ مُبْطِلِينَ، وَسَوَاءٌ كَانُوا ظَالِـمِينَ أَوْ مَظْلُومِينَ.

وَبِضِدِّهَا تَتَبَيَّنُ الأَشْيَاءُ:

فَـ(التَّعَصُّبُ) ضِدُّ التَّسَامُحِ، وَالِانْغِلَاقُ ضِدُّ الِانْفِتَاحِ، وَالتَّحَجُّرُ ضِدُّ التَّفَكُّرِ، وَرَفْضُ الآخَرِ وَعَدَمُ قَبُولِهِ ضِدُّ التَّوَاصُلِ مَعَهُ، وَالتَّعَايُشِ وَالتَّوَافُقِ، وَالعَصَبِيَّةُ وَالحَمِيَّةُ ضِدُّ التَّجَرُّدِ لِلْحَقِّ وَالِانْتِصَارِ لَهُ. فَمَعَانِي التَّعَصُّبِ مَمْقُوتَةٌ مَذْمُومَةٌ؛ وَضِدُّهَا هَذِهِ المَعَانِي الجَمِيلَةُ المَحْمُودَةُ.

(١) فِي كِتَابِهِ "أَدَب الطَّلَب" (ص٩٢).

وَقَالَ **الشَّاطِبِيُّ**:(١)

"إِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْعُقُولِ فِي إِدْرَاكِهَا حَدًّا تَنْتَهِي إِلَيْهِ لاَ تَتَعَدَّاهُ، **وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا سَبِيلاً إِلَى الإِدْرَاكِ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ**".

قَالَ مَعْنُ بْنُ عِيسَى:(٢) قُلْتُ: **لِمَالِكِ بْنِ أَنَسٍ**: "يَا أَبَا عَبْدِ اللهِ! كَيْفَ لَمْ تَكْتُبْ عَنِ النَّاسِ، وَقَدْ أَدْرَكْتَهُمْ مُتَوَافِرُونَ؟ قَالَ: أَدْرَكْتُهُمْ مُتَوَافِرُونَ؛ وَلَكِنْ **لاَ أَكْتُبُ إِلاَّ عَنْ رَجُلٍ يَعْرِفُ مَا يَخْرُجُ مِنْ رَأْسِهِ**".

❁❁❁❁

وَ**الأَصْلُ البِدْعِيُّ** هُوَ الاسْتِقْلاَلُ بِالفَهْمِ دُونَ العُلَمَاءِ الرَّاسِخِينَ الَّذِينَ اتَّفَقَتِ الأُمَّةُ عَلَى إِمَامَتِهِمْ، وَجَعَلَ اللهُ لَهُمُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ.

وَمَبْدَأُ هَؤُلاَءِ **المَوْتُورِينَ**: "هُمْ رِجَالٌ وَنَحْنُ رِجَالٌ"! أَوْ "كَمْ تَرَكَ الأَوَّلُ لِلآخِرِ"! وَالصَّوَابُ أَنَّ هَؤُلاَءِ العُلَمَاءَ هُمُ (الرِّجَالُ)

---

(١) فِي كِتَابِهِ "الاعتصام" (٢/ ٣١٨).

(٢) كَمَا فِي "إِتْحَاف السَّالِك" لابْنِ نَاصِرِ الدِّينِ (ص٨٢).

أَمَّا غَيْرَهُمْ فَهُمْ (عِيَالٌ)، وَأَنَّ الْمُعَوَّلَ عَلَىٰ الأَوَّلِ، وَالآخِرُ عَالَةٌ عَلَيْهِ؛ وَلَوْ كَثَّرَ هَذَا الدَّعِيُّ القَوْلَ! فَـ(السَّلَفُ) هُمُ الرَّايَةُ!

فَإِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ قَدْ زَاغُوا عَنْ سُنَّةِ وَهَدْيِ السَّلَفِ الأَوَائِلِ؛ فِي دَقِيقِ الأُمُورِ قَبْلَ الجَلاَئِلِ.

فَاتَّبِعْ مَا خُطَّ لَـهُمْ مِنَ القَوَاعِدِ، وَرَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ القَوَاعِدِ.

❁❁❁❁

وَ**الرَّاسِخُ فِي العِلْمِ** إِنَّمَا يَظْهَرُ رُسُوخُ قَدَمِهِ فِي مَوَاطِنِ الشُّبَهِ حَيْثُ تَزِيغُ الأَفْهَامُ، فَيَكُونُ ذَا بَصَرٍ ثَاقِبٍ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَعَقْلٍ رَاجِحٍ عِنْدَ حُلُولِ الشَّهَوَاتِ وَالْمُنَازَعَاتِ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الضَّلاَلاَتِ.

قَالَ **ابْنُ القَيِّمِ**:(١) "**إِنَّ الرَّاسِخَ فِي العِلْمِ** لَوْ وُرِدَتْ عَلَيْهِ مِنَ الشُّبَهِ بِعَدَدِ أَمْوَاجِ البَحْرِ؛ مَا أَزَالَتْ يَقِينَهُ وَلاَ قَدَحَتْ فِيهِ شَكًّا، لأَنَّهُ قَدْ رَسَخَ فِي العِلْمِ؛ فَلاَ تَسْتَفِزُّهُ الشُّبُهَاتُ، بَلْ إِذَا وَرَدَتْ عَلَيْهِ رَدَّهَا حَرَسُ العِلْمِ وَجَيْشُهُ مَغْلُولَةً مَغْلُوبَةً".

---

(١) فِي "مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ" (١/ ١٤٠).

وَلِذَلِكَ؛ فَإِنَّ **الرَّاسِخَ فِي العِلْمِ** أَعْظَمُ النَّاسِ ثَبَاتًا عِنْدَ الفِتَنِ وَالاخْتِلاَفِ، وَأَكْثَرُهُمْ تَأَنِّيًا وَبُعْدًا عَنِ العَجَلَةِ، فَلاَ تَسْتَفِزُّهُمُ الأُمُورُ وَلاَ تَسْتَهْوِيهِمُ العَوَاطِفُ.

وَمَعْرِفَةُ الرَّاسِخِينَ فِي العِلْمِ الَّذِينَ يُرْجِعُ إِلَيْهِمْ فِي الخِلاَفِيَّاتِ وَالفِتَنِ وَالنَّوَازِلِ مِنْ أَهَمِّ أَسْبَابِ الاسْتِقْرَارِ، وَإِصَابَةِ الحَقِّ، وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُسَاهِمُ فِي رَفْعِ البَلاَءِ وَالفِتَنِ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ (النِّسَاء).

وَهَذَا أَمْرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ **بِأَنْ يُرَدَّ الأَمْرُ فِي الخِلاَفِيَّاتِ وَالفِتَنِ وَالنَّوَازِلِ وَالفِقْهِ إِلَى أَهْلِ العِلْمِ مِنَ العُلَمَاءِ الرَّبَّانِيِّينَ، لاَ إِلَى آحَادِ الأَشْخَاصِ.**

وَبِاللهِ ﷻ التَّوْفِيقُ وَالسَّدَادُ!!!